فتوى اقتناء السكن الربوي

الحلقة 24

الهندسة الروحية بتبني البدعة والهرطقيات

نموذج المغرب

كتبنا في سلسلة " **ضعيف الصحيحين**"، في **الحلقة 31**، على موقعنا، تحت

عنوان: "كيف جمع "الثبات" و"الجريان" بين الشيخ ابن باز، وغاليليو غاليلي، والبابا أوربان الثامن

؟"

{ومن **المفارقات التاريخية**، أن يبدأ **الحوار العلمي الكنسي** على أسنة

الخوازيـــــق **ولهيـــــب**

المحارق المتأججة بأجساد **المخالفين** للأطروحات التي تقول بها **الكنيسة** حيث سلكهم **القساوسة** في عداد **الهرطقيين** خارج **هرطقتهم البولصية** {نسبة إلى القديس بولص} **التاريخية**، التي مثلت عند المُحاقة **أكبر انقلابية دينية** حصلت في التاريخ البشري كله، حيث تغلب **التيار الهرطقي البولصي الوثني** المتفلسف على الخطاب المباشر والبسيط لـ**مواعظ الجبل** التي تلقفها **الحواريون** من في **المسيح** عليه السلام حيـة مُحْيِيّـة وصـافية رقراقـة زلالاً، ليكتـب النجـاح والاسـتمرارية التاريخيـة **للمتطفلـين**

الهرطقيين الذين سيستحوذون حتى على اسم الدعوة ويحتكرون استعماله، في حين انقرض الحواريـــون وكنيـــستهم وطـــواهم التـــاريخ إلـــى أن بعثـــوا مجـــدداً فـــي الإسلام ، ستة قرون بعد ارتفاع صاحب الرسالة}.

فما علاقة هذه الفعلة الشنعاء بالمغاربة ؟

لنترك الوقائع على الأرض تحدثنا **(تابع)**

في النهاية كان:

الرد المتشنج ل هيئة المجلس العلمي !!! الأعلى !!!!!

المغربية، التي أصدرت بياناً سياسياً جاء فيه:

"الحمـــد لله، والـــصلاة والـــسلام علـــى مولانـــا رســـول الله وآلـــه وصـــحبه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

عقـدت الهيئـة العلميـة !!! للإفتـاء بـالمجلـس العلمـي !!! الأعلى !!! يومه السبت تاسع وعشرين شعبان1427 الموافق 2006/9/23 اجتماعا خصص لموضوع الفتوى الشرعية.

والذي يهمنا في هذا المقام، التذكير **بحقائق** تتصل بالمغرب **علميا** **وتاريخيا** وفي مقدمتها **حرص المغاربة** **على تقاليدهم العلمية** ، وفي ذلك سر انضوائهم تحت راية الإسلام ، و**التفافهم حول إمارة المؤمنين**

قلت:

ظاهر من التصدير بالآية الكريمة من سورة **المائدة** المبتورة عن قصد من سياقها، على غرار من يستشهدون بالآية الرابعة من سورة **الماعون**:

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ﴾ الماعون: ٤

أن من صاغ هذا البيان ودبجه، ليس إرضاءاً لله ولا طمعاً في ثوابه، ولا نصحاً للمسلمين إبراءً لذمة العلم، وإنما امتثالا **لأوامر استئصالية** صادرة إليه من فوق، وفُرض عليه وعلى أقرانه في **المجلس الرسمي**، تبنيها، شاءوا أم أبوا، على معهود مثل هذه **البلاغات الرسمية**، التي لا تشتم منها رائحة **العلم** أو **التقوى**، في الرد على: **الشيخ**

القرضاوي بخصوص فتواه للمغاربة باقتناء السكن الربوي، بما لها وما عليها، على ما توسعنا في تفصيله في الحلقات السابقة.

والمعروف شرعاً، أن الفتوى لا تخرج عن إبداء الرأي الحر، الذي يخضع لمعايير الخبرة المزدوجة، في الأمور الشرعية وفي ميدان التخصص، بضوابطه (الرأي) وشروطه المعروفة، على ما فصلنا القول فيه في الحلقات السابقة، وأهمها ثلاثة شروط:

1) الاستقلالية المطلقة عن السلطة التنفيذية وأجهزتها المختلفة، بحيث لا قيمة ولا عبرة بفتوى تصدر من موظف مع الدولة {الذي يجب أن يختاره الأقران وتزكيه سيرته وسمعته وعلمه بين المواطنين، ويقترحون ترشيحه للقيام بهذه المهمة، ويحصل على راتبه، أو يجعل له جعل ثابت، يتسلمه من أوقاف المسلمين، تفادياً للوقوع في مثل هذا المحذور}[1]، حتى وإن سلم قصد المفتي ونيته.

وهو ما ظل العلماء في القديم، الذين لم يكونوا بالضرورة من المناوئين للدولة، الموقعين عن رب العالمين، يتحاشونه، ويتجنبون الوقوع في فخه، حتى أن بعضهم لم يجد حلا سوي:

- في هجر البلد والتواري عن الناس،

[1] ومتى تم تنصيبه فلا يعزل إلا بموجب مساطير واضحة ضمن دستور جديد.

- والبعض الآخر في ادعاء الجنون، أو أي عذر آخر، كي لا يشغل هذا المنصب، معرضاً نفسه لنقمة الحكام وبطشهم، ولآفانين جهنمية من التعذيب وأساليب الترويض:

- كالتضييق عليهم في العيش،
- والتشريد بهم وبذويهم،
- وتسليط السفهاء عليهم،
- وسجنهم وتعذيبهم، بل وحتى قتلهم، وغيرها من المخازي، التي يندى لها جبين كل حر، على ما استعرضنا من أنماط ذلك تاريخيا في سلسلة "صناعة الفقه" على هذا الموقع.

وقد مثلنا له ببعض النماذج من العصر الحاضر، كما حصل في فتاوى:

أ) كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، بخصوص:

الأوراق المالية، و حرب الخليج، وقتال الإخوان زمن الملك عبد العزيز،

وغيرها مما يطول تتبعه وتقصيه،

ب) وفتاوى المفتين الرسميين لمصر: شلتوت وطنطاوي

بخصوص تحليل بعض المعاملات الربوية،

2) الحرية المطلقة في إبداء الرأي لا تأخذ الخبير، كأي خبير في أي ميدان آخر، لومة لائم، في إبداء رأيه، المسنود بأدلته، في أية نازلة، وليس فحسب في المجال الضيق للأحوال الشخصية، التي تقلص إليها الإسلام المُعلمن الرسمي في العصر الحاضر،

3) الخبرة المزدوجة في الشريعة وفي ميدان التخصص، من خلال ما نشر هذا الخبير من بحوث وأعمال تشهد له بالعلم بين الأقران المستقلين الأحرار مثله، وليس من خلال الإكرامات والتعيينات الرسمية، لكونه يوقع بفتواه عن رب العالمين، الذي يخضع له الجميع في الإسلام، بما في ذلك السلطة التنفيذية العليا بالبلاد، المنوط بها الحكم بالشرع، كيفما كان شكلها أو نوعها، وليس إرضاء لنزواتها الظرفية، قياما بواجب العين في حقه، إن لم يوجد غيره، بغض النظر عن إصابته للمراد والقصد في فتواه، أو خطئه فيها.

بحيث أن كل من لا تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة يجب ألا يتعرض للإفتاء، حرصاً على سلامته وسلامة دينه، وإن فعل فيعتبر من الآثمين ومن أصحاب الجرأة على الفتوى والمعتدين فيها، إما بسبب من الرهافة الدينية، أو الجشع، أو ضعف الشخصية،...,غيرها من خوارم المروءة.

لذلك، فتوجيه البيان لسامعيه مع البتر السياقي للآيتين، بالإيحاء الخفي، بكون الموقعين على هذا البيان الإداري يندرجون بالضرورة ضمن زمرة المؤمنين !!! المهتدين !!! ، بينما الآية في سياقها الطبيعي، تسلكهم في غير ما أرادوا وتوخوا، على ما يتبين القارئ من قراءة الآيتين معاً:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المائدة: ١٠٤ - ١٠٥

يعتبر قمة في التدليس وقلة الأدب.

فما بالك، أن ينضاف إلى عدم الأهلية، إدراج الشيخ القرضاوي، دون حياء أو وجل،

وإن لم يصرحوا باسمه، في عداد الضالين المضلين !!!

وهو ما يثبت بما لا مزيد عليه، أننا بإزاء رد أمني استئصالي، يتدثر بلباس الدين، على ما اعتادت الداخلية المغربية بالشقاوة المعهودة والبليدة فيها أيام عهد الرصاص الحسني والتي لا زالت لها استمرارية وإلى يوم الناس هذا، بإصدار مثل هذه البيانات الخرقاء والجوفاء من طرف جوقة يتجاوب فيها أدعياء المعرفة، ما تتجاوب الصناديق الرنانة بالحث على نغمة واحدة، ليس لهم من مسمى العلم، بالمعنى الشرعي والحرفي للكلمة سوى هذا الاسم الزور، ولا ينبئك مثل خبير، لتنحصر مهمتها الأساسية في نشاط واحد ووحيد، وهو النبح ك كلاب مجزرة على المخالفين متى صدرت إليهم الأوامر بذلك، والكف عنهم متى صدرت إليهم الأوامر بالتوقف.

فهذا **القطيع النابح** على القمر، في ليلة الاكتمال، والذي لا يستقل برأي، **لضعف الطالب والمطلوب في أعضائه**، والذي لا علاقة له من قريب أو بعيد، لا ب**الدين**، بالرغم من استعمال مفرداته خارج سياقها، ولا ب**العلم**، مادام من دبجوا هذا الخطاب المتشنج، سواء أكانوا من الذين ارتضوا لأنفسهم أن يسقطوا في هذا المستنقع الآسن طمعاً في سحت زائل، أو ممن أكرهوا عليه ولا قدرة لهم على الرفض لهوان أنفسهم عليهم، وهوانهم عند من يشغلونهم، على ما سيتبين القارئ بعد قليل، وبدليله، يدعو المرء للتندر والتفكه من نباحه على الأشباح، بدل الواقائع.

قلت:

والثابت، على ما يشهد به تاريخ كل **الهرطقيين** التاريخيين الجذريين، حال **الكنيسة الكاثوليكية** في زمنها الضائع والردئ، الذين سلبهم الله المنطق، والقدرة على التفكير الرزين السليم، و**الروح العالية** المتسمة ب**الأريحية** في القبول بالمخالف، لحقه الذي لا يمكن أن يصادر، أو يختزل في **الاختلاف**، لأنه ما خلق إلا ليكون **مختلفاً**، و**مخالفاً** في آن، بتكريم الله لجنسه في الأزل، دون سائر الخلائق، حتى يكون لحرية اختيار المعتقد من معنى، بحسب ما ورد في الآيتين الكريمتين من سورة **هود**: ١١٨ – ١١٩.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

ولا أنهم يقرأون التاريخ، ليعرفوا كيف انحدر إليهم موروثهم، ولا كيف صادف وأن وجدوا أنفسهم، بالوراثة أو بالصدفة، متترسين على جانب من الخندق وغيرهم على الجانب الآخر، معتمدين فقط على قراءتهم الخاطئة للعصر وللواقع وعلى الروح الاستئصالية المتجذرة فيمن يشغلونهم، لضعف الطالب والمطلوب فيهم جميعا.

وأضاف البيان:

وإجماعهم !!!!!!! على:

- وحدة المذهب !!!،
- والعقيدة !!!،
- والسلوك !!!.

قلت:

ومن الجهل ما قتل.

وهو ما سنبينه من خلال معالجة كل محور من هذه المحاور التي ادعي إجماع المغاربة فيه، كلاً على حدة:

1) محور وحدة المذهب

كيف يقال بأن المغاربة **اجتمعوا** على **وحدة المذهب** ، بينما غالبيتهم العظمى، عدا قلة ممن تخرجوا من القرويين، ظلت تعاني من الأمية المزدوجة، في الدين وفي اللغة معا، حتى أن قبائل عديدة ظلت تعتمد أعرافها الجاهلية، أو خليطا منها ومن الإسلام المحرف، لعدم وقوعها تحت حكم أية سلطة مركزية.

ف**المذهب المالكي**، كما هو معلوم، لم يتم استتبابه بالمغرب سوى منتصف القرن الخامس الهجري من طرف:

أ) **دولة المرابطين**، التي كانت دولة فقهاء بامتياز، والذين حكموا **الشمال الإفريقي** و**الأندلس** لمدة ناهزت القرن تقريباً (445هـ/1054 م – 541 هـ/1147 م).

بينما سادت مذاهب شرقية أخرى في عدة مناطق من المغرب قبله، سواء أيام **حكم الأمويين** أو **حكم العباسيين**، أو **حكم الأدارسة** (172 هـ/788 م – 363 هـ/ 974 م)، أو **حكم المغراويين** (376هـ/987 م – 462هـ/1070 م) كمذاهب الخوارج بشقيها:

- **الإباضي**، نسبة إلى **عبد الله بن أباض المري التميمي** (عاش في أيام عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي (26 هـ/646 م – 86 هـ/ 705 م)، الذي ساد لفترة بشمال المغرب،
- و**الصفري**، نسبة إلى: أتباع **زياد الأصفر** أو **النعمان بن الأصفر**، أو **عبد الله بن صفار التميمي**، الذي ساد لفترة بجنوب المغرب.

ب) ثم ما لبثت أن نشأت **دولة الموحدين** التي ثارت على **دولة المرابطين** وتمكنت من تقويض سلطانها والحلول بدلها في حكم المغرب. وقد دشنت حكمها بتحريق كتب **المدونة** وكتب **الفروع الفقهية المالكية** في الميادين العامة، وتبنت بدل التقليد في الفروع المالكية مبدأ الرجوع طراً إلى الأصلين

القرآن والسنة وتنزيل نصوصهما مجدداً على الوقائع، وقد دام حكم هذه الدولة زهاء قرن من الزمان كذلك (541 هـ/1147 م – 667 هـ/1269 م)،

ت) ثم جاءت **دولة المرينيين**، ولم تكن لها رؤية حضارية ولا مشروع تأصيلي، فأطاحت بالموحدين، واستبدلت أصليهما بالرجوع القهقرى إلى **المذهب المالكي**، نكاية ب **الموحدين** لتستمر في سدة الحكم زهاء القرنين (667 هـ/1269 م – 869 هـ/1465 م)،

ثم تعاقبت بعد ذلك على المغرب، بعد أفول نجم **المرينيين**، دويلات ضعيفة كمنت مهمتها الأساسية في التصدي للغزو الخارجي، ومحاولة استرداد الثغور المغربية من المحتلين الأسبان والبرتغاليين.

وما ميز هذه الدويلات الأخيرة على الخصوص، كونها دويلات استقلت بحكم المغرب الأقصى فحسب، دون الامتداد شرقاً نحو **تونس**، أو شمالا نحو **الأندلس** حال الدول المغاربية الثلاث العظام من قبل، حيث استقل بحكم **تونس دولة الحفصيين** (626 هـ/1293 هـ – هـ/ 1574 م)، و**ب الجزائر دولة تلمسان من بني عبد الواد** (626 هـ/1293 هـ - 959 هـ/1552 م).

وقد حكمت هذه الدويلات القطرية أقطارها بدون مشاريع حضارية، وأقرت ما كان موجوداً قبلها من مذاهب فقهية من باب: ليس أبدع في الوجود مما كان، وتبنت التقليد البليد، وراكمت من البدع الظاهرة والباطنة ما تنوء عن حمله الجبال الرواسي، قبل أن يتمكن العثمانيون من إلحاق القطرين الشقيقين بإمبراطوريتهم، ويحكما تحت **بايات** تابعين للأستانة خلال الفترة (926 هـ/1520 م – 1245 هـ/1830 م).

وقد توالت على حكم **المغرب الأقصى**، **المعزول** الآن عن الشرق:

ث) دولة الوطاسيين (876 هـ/1472 م - 959 هـ/1552 م)،

ج) دولة السعديين (960 هـ/1553 م – 1069 هـ/1659 م)، ثم

ح) دولة العلويين (1069 هـ/1659 م -.....)،

قلت:

وقد فشلت هذه الدويلات تباعاً، ولمدة فاقت الخمسة قرون، في المهمة التي انتدبوا لها، وهي الجهاد لاسترجاع الثغور المحتلة، التي لا يزال بعضها في قبضة الأسبان حال:

- **الجزر الجعفرية [2]{صورة لجزر إشفارن الثلاث قرب الساحل المغربي**

، ومدينتي سبتة

ومليلية

وغيرها من الثغور، على ما تظهر الخريطة الأسبانية أسفله:

[2] **لجزر الجعفرية** أو **جزر إشفارن** هي ثلاث جزر صغيرة مغربية محتلة في غربي البحر الأبيض المتوسط تقع أمام سواحل إقليم الناظور المغربي وتخضع للسلطة الإسبانية منذ عام 1847، و يطالب المغرب بالسيادة عليها. تبعد الجزر 3.5 كم من بلدة رأس الماء المغربية التابعة لإكبدانن بالناظور. وتقيم حامية مكونة من 190 جندياً على كبراها جزيرة كونجريسو. و الجزر الجعفرية هي واحدة من ستة جيوب أخرى على الساحل المغربي المتوسطي، وهي Peñón de Vélez de la Gomera وصخرة الحسيمة Peñón de Alhucemas ، وجزيرة جاعفروووه Perejil ، التي حصل عليها احتكاك بين المغرب وإسبانيا 11تموز/يوليوز 2002. {من موسوعة ويكيبيديا}

بل وقع تهاون مشين، من طرف الوطنيين، إبان الاستقلال، حيث لم يخلصوا **الحدود الشرقية للمغرب**، تحسينا للظن بثوار الجزائر. {خريطة للجزائر سنة 1837م

لاحظ الحدود المغربية الجنوبية التي تدفع في خاصرة الجزائر نحو الشرق، على خلاف الحدود الحالية التي اقتطعت منها أجزاء من المغرب إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر وألحقت ب**الجزائر**، على ما تظهر الخريطة

المصاحبة 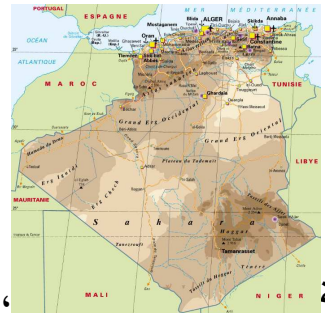

، والتي لا بد وأن يعمل المغرب على استرجاعها ، حال كل الثغور الشمالية، طال الزمن أم قصر.

قلت:

وقد انشغلت هذه **الدويلات الأخيرة** بمعالجة الفتن الداخلية التي لا تكاد تنقطع، لعامل الجفاف الدوري المتعاقب على المغرب، الذي كان يذهب بثلث السكان تقريباً بسبب المجاعة والأوبئة والطاعون المصاحبة، والذي كان يزور المغرب بشبه انتظام كل ثلاثة أو أربعة عقود، بحيث ما كانت ساكنة المغرب تقترب من بلوغ ستة ملايين نسمة، حتى يتم إرجاعها القهقرى إلى مستوى الأربعة ملايين التي تتحملها البيئة، قبل أن يجد لها المعمرون الفرنسيون حلا جذريا بتبني سياسة بناء السدود، ولغياب المنظورية الحضارية من مقاربتهم، لعتاقة نموذجهم في الحكم وتخلفه عن ركب عصره، وعزلتهم، وتبنيهم للأنموذج المبتذل والمتهالك في الحكم، الذي تجسده: "**دولة محصلة الصفر**"

{أنظر **دولة محصلة الصفر**" على موقعنا}، التي لا تبرح مكانها ولا تغادره ولا تتزحزح عنه، لتخلفها البنيوي، إلا أن تتدخل الكوارث الطبيعية أو القلاقل الاجتماعية، أو **العامل الأجنبي**، فيجبرانها على تغيير مسارها أو يزيلانها من الوجود جملة، بسبب من هذا التقليد البليد بالذات، وبسبب من **تقديس** الأقدمين وتعظيمهم والرفع من شأنهم، والتهوين من قدر المعاصرين والحط منهم، مع أن **اللاحق**، وبحكم نواميس الكون، وتجدد المعرفة الكونية والتقنيات، مفروض فيه أن يبز كل من سبقوه من أساطين الفكر،

وبدون استثناء، ما دام قد وقف هو على أعمالهم الكاملة وأعمال كل من انتقدوهم، بالإضافة إلى تقادم أعصارهم ونوازلها مقارنة مع نوازل عصره، وحصول طفرات هائلة في المعرفة ما كانوا ليتصورها ولا ليحلموا بها.

2) محور وحدة العقيدة

أن يقال بأن **المغاربة** تميزوا عبر تاريخهم الطويل ب **وحدة العقيدة**، **وبأن: "العقيدة الأشعرية"** نسبة إلى **أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري** (260 هـ - 324 هـ) كونت النواة الصلبة لهذا الاعتقاد، فيه **تلبيس وتدليس**، مادام المغاربة ظلوا بدواً ولم يشتهروا في تاريخهم كله بالتمدن الواسع، الذي يأتي مع التوسع في العمران الحضاري، حال ما كانت عليه **بغداد** أو **قرطبة** بل ظلت عواصمهم التاريخية كمدينتي **فاس** و**مراكش** أقرب إلى بلدتين، منهما إلى مصر عامر.

ولم يكن جامع القرويين، الذي لم تكن تتسع رحابه سوى لعدد محدود من الطلبة المحليين والطلبة الأفاقين الوافدين عليه من باقي المدن المغربية، والذين يتخصصون عادة في الفقه، لشغل مناصب عملية مثل: خطة العدلية والتوثيق، والخطابة في المساجد، والقضاء، والحسبة، وأمناء المراسي، ....إلخ.، لمردوديتها المضمونة، ليهتموا بالخوض في العقائد والآراء الفكرية، على ما اعتاد المشارقة الضاربين في التنوع العرقي والمذهبي، والتحضر بحظ واسع.

لذلك، لم يكونوا يشغلون أنفسهم بهذه الأمور، وبأمور الخلاف عامة، لانتفاء ذلك في بيئتهم الاجتماعية، ولم يبرز من بينهم، وعلى طول العهد، من عرف له باع في الخوض فيها، على خلاف ما كان يحصل في المشرق.

والمعروف عن **أبي الحسن الأشعري** الذي تنتسب إليه **فرقة الأشاعرة**، المنضوية ضمن فرق **أهل الكلام**، وليس عقيدة **أهل الحديث والسنة**، بمفهومها المتداول زمن **الإمام أحمد بن حنبل** (ت: 241 هـ) ومن جاءوا بعده من المحدثين، كان قد بدأ **مشواره العقدي** معتزلياً، وأخذ علم الكلام عن **الشيخ أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي** (ت: 303 هـ) شيخ المعتزلة، ومكث على ذلك قرابة **الأربعين سنة**، قبل أن يتحول إلى مذهب **الكلابية**، نسبة إلى طريقة **أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب البصري** (ت: 240هـ) في تأويل الصفات **بالتأويل الإغريقي الهرطوقي**، وليس بالصرف والتحويل بدليل {أنظر: التأويل بين الشطح اللاهوتي والتخرص الفلسفي والتعالم الواهم"

، على موقعنا، ثم تحول عن ذلك، في آخر عمره، حين التقى بالحافظ **أبي يحيى: زكريا بن يحيى الساجي البصري** (ت: 307 هـ) الذي أوقفه على مذهب أهل الحديث في الصفات، لينسلخ عن **الكلابية** ويتبنى موقف المحدثين، على ما يستشف من كتابيه: "**الإبانة**"، و"**رسالة أهل الثغر**".

وقد ورووا انه صعد منبر **البصرة** يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته:

"من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني، أنا فلان بن فلان كنت أقول ب**خلق القرآن**، وإن **الله لا يرى بالدار الآخرة بالأبصار** وإن **العباد يخلقون أفعالهم**.
وها أنا تائب من الاعتزال معتقداً الرد على المعتزلة.

ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم.

وقال أبو بكر بن فورك: رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة 300هـ.

وقد ذكروا لأبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال في مشواره العقدي:

أ) حال الاعتزال التي رجع عنها.

ب) حال إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الصفات الخبرية ك الوجه واليدين، والقدم، والساق، ونحو ذلك، سالكاً في ذلك طريقة المتكلم: محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب البصري (ت: 240 هـ)،

ت) حال إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه على غرار ما كان يفعله أهل الحديث وهي الطريقة التي ألف بها كتابيه "الإبانة عن أصول الديانة

" و" رسالة إلى أهل الثغر " الذين صنفهما في أواخر حياته.

ومن أشهر المنظرين الأشعرية:

- 1) أبو الحسن الطبري (ت: 380 هـ)،
- 2) وأبو الحسن الباهلي وكلاهما من تلاميذ الأشعري،
- 3) والقاضـــي أبـو بكـر: محمـد بـن الطيـب بـن محمـد بـن جعفـر بـن قاسـم, البصري, ثم البغدادي، المعروف بـابن البـاقلاني المـالكي (ت: 403 هـــ)، صاحب التصانيف، الذي صنَّف في الرد علـــى الرافضة والمعتزلـة, والخـوارج،

والجهمية، والكرامية, وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، التي أوقفه عليها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب أبي الحسن الأشعري [3]

.

- 4) و أبو بكر: محمد بن الحسن بن فورك (ت: 406هـ)، صاحب كتاب: "مشكل

الحديث وبيانه"

- 5) وعبد القاهر البغدادي بن طاهر بن محمد البغدادي، الإسفرائني ، التميمي (ت: 429 هـ)، صاحب كتاب: "الفرق بين الفِرق"
- 6) وأبو القاسم: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر (ت: 465 هـ)، صاحب "الرسالة القشيرية"، اختلف إلى بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام، وصار رأساً في الأشاعرة، وهو يخالف المتصوفة في الكثير من أفكارهم،
- 7) و أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوه الجويني، الملقب بإمام الحرمين، (ت: 419هـ/ 12 فبراير 1028 م) ،
- 8) و أبو حامد: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي الطوسي (450 هـ - 505 هـ)، وتلميذه:
- 9) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي؛ الأندلسي المالكي (468 هـ/1076م -453هـ/1148م)،

[3] قال القاضي عياض في "طبقات المالكية": هو الملقب بسيف السنة, ولسان الأمة, المتكلّم على لسان أهل الحديث, وطريق أبي الحسن, وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته, وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة.

- **10) وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت : 548 هـ) وتراجع عنها بآخره، وغيرهم.**

قلت:

ومن الكتب المهمة التي جمعت في النقد بين المعتزلة والأشاعرة وجعلتهما في سلة واحدة، كتاب: " تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى أبي الحسن الأشعري " لمحدث الشام وحافظها: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (449 هـ/ 1105م - 571هـ/ 1176م).

ولب الإشكال في هذه العقيدة، التي رامت الجمع والتلفيق بين معتقد أهل الحديث، وأهل الاعتزال، لا يكمن فقط في هذا المشوار المتقلب لأبي الحسن الأشعري نفسه، وتغييره لمعتقده، كلما تقادمت به الممارسة وتقدم في السن، بقدر ما تكمن بالأساس في كون الفرقة التي تنتسب إليه رأساً، تخالفه فيما ذهب إليه في مؤلفيه الذين وضع فيهما عصارة آخر ما استقر عليه رأيه وقناعته في هذا المجال!

هذا، بالإضافة إلى وجود مغالطة ناتجة عن كون الأشاعرة المتأخرين، جعلوا من أبي الحسن إماماً لأهل السنة والجماعة، مع أنه طارئ عليها، ومتحول إليها، بالإضافة إلى كونهم يخالفونه نفسه في عدة مسائل، ويتجاوزون قوله، أو يفكون غزله، بل ويناقضونه أيضاً في مسائل كثيرة.

لذلك، فتبني مثل هذه العقيدة المشوشة والمدغولة بقانون التأويل الكلي الهرطوقي الرجيومي الإغريقي، نسبة إلى الإغريقي ثياجانس الرجيومي**، وليس**

التأويل القرآني، من طرف من يدعون الانتساب إلى مذهب الإمام مالك، بينما عقيدته في الصفات وفي "الاستواء" نار على علم، ومجمع عليهما بين المحدثين، تعتبر قمة التناقض.

وقد كتبنا في الحلقة السابعة من التأويل :

لذلك، يظهر بجلاء من كل هذه الاعتبارات التاريخية والثقافية، أنه ومنذ أفلاطون (399 ق.م - 70 ق.م) وتلميذه أرسطو (322 ق.م - 384 .م) اعتبرت "التأويلية" عند الإغريق، مجرد إجرائية لقراءة النصوص، وفهمها وإفهامها للغير!.

واستعملت عند الفلاسفة الإغريق ومن تأثروا بمناهجهم بمعنيين اصطلاحيين:

(1) مصطلح فلسفي: بمعنى "التأويل" (Hermeneuein)، وهو في اللغة الإغريقية يعني التأويل الذي يتميز بالدقة والصرامة، ومعالجة المشكلات المستعصيات من القضايا، والمناهج التي لها علاقة بتأويل ونقد النصوص.

فمفهوم "التاويل" هنا يختص بالنص الفلسفي، إلا أنه سوف يتطور لاحقاً عند المسيحيين، ليلتصق بتأويل نصوص التوراة، ثم لينتقل لاحقاً إلى كل ما هو رمزي.[28]

هكذا صارت "الدلالية" أو علم الدلالة (السيمنطيقية) (La Sémantique) لدى الإغريق تلخصها المقولة الشهيرة في تعريف "الاستعارة" أو "المجاز":

{أن تقول شيئاً ما عن شيء ما، هو أن تقول شيئاً آخر}

أي تأويله !.(بهذا المعنى).

(2) مصطلح نقدي: بمعنى "التفسير" (Interpretation).

ولخصنا في الحلقة الثامنة من التأويل :

وأول من نعلم عنه انه تبرم من ظاهرة التأويل غير الملجوم بلجام كابح يمنع عنه الشطط: القاضي أبـــو الوليد محمد بن أحمد بن رشد " الحفيد " (520 هـــ/1126- 595 هـــ/1198م) ، شـــارح أعمـــال الفيلسوف الإغريقي أرسطو .

قال ابن رشد:

{وذلـــك أن كـــل فرقـــة مـــنهم **تأولت فـي الشريعة تـأويلاً غير التأويل الـذي تأولتـه الفرقة الأخرى**...حتى تمزق الشرع كل مُمَزَّق. ولما علم صاحب الشرع ﷺ أن مثل هذا يعرض قال: (ستفترق أمتـــي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة). ويعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع...وأنت إذا تأملـــت ما في الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل، تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم[1] هم: الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم الأشعرية، ثم الصوفية}

فابن رشد عدد هنا أربع فرق لكل منها منهج خاص في التعامل مع النصوص:

أ) فالخوارج: "حَرْفيون" أصحاب ظاهر،

ب) والمعتزلة: "عقلانيون" مُؤولون لأدنى سبب،

ت) والأشعرية: "مخضرمون يجمعون ما بين العقلانية والتسنُّن"،

ث) والصوفية: "باطنيون شطحانيون بتأويلات خرقاء".

واللافت، هو أن ابن رشد، وإن عارض تأويلات هذه الفرق جميعها، إلا أنه ارتضى لنفسه تأويلاً خاصّاً به سمّاه: "**تأويل الخواص**"!: أي الفلاسفة، الذين كان يعد نفسه من بينهم! إلا أنه كشارح لأرسطو كان يحذوه في كل أقواله حذو القذة بالقذة لا يحيد عن قوله ولا يزيغ!.

ومما ينبئ عن الدرك الذي نزل إليه الفقه إلى زمن القاضي أبي الوليد رحمه الله، كون بضاعة الفقيه لم تعد تعصمه من الزلل العقدي، حيث لا يصدق المرء أن يكون قاضي القضاة، هو القائل في حق وثنه أرسطو الوثني بأنه:

{ملك أرسله الله لتعليمنا!}

أما بخصوص "**تأويل الخواص**" هذا[2] فيقول القاضي:

{فإن كان الظاهر موافقاً، فلا قول هناك (أي: لا تأويل)، وإن كان مخالفاً، طلب هناك تأويله. ومعنى التأويل: **إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية**، من غير أن يخلّ في ذلك بعادة لسان العرب في التّجَوُّز من تسمية الشيء: بشبيهه، أو سببه، أو لاحقه، أو مقارنه و غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي}

فكت:

وهذا في الحقيقة هو التعريف الإغريقي للمجاز:

{أن نقول عن شيء ما شيئاً ما، هو أن نقول شيئاً آخر}

ولا ينقضي عجبي من **صبيان النظرية المخزنيين**، الذين ادخلوا هذه **العقيدة**، بنت بيئتها وعصرها وزمانها، الذي ولى، ضمن ثالوثهم المبتذل الملفق الجامع بين ما لا يجتمع بحال، حال:

أ) جمعهم بين **الإمام مالك**، و**التصوف**، بينما موقف **مالك** من هذه البدعة الطارئة على الإسلام في عصره، معروف على ما سيأتي،

ب) وجمعهم بين **الإمام مالك** و**عقيدة الأشاعرة المتأخرة**،الجامعة بين **التفويض** و**التأويل الهرطوقي**، بينما عقيدة **الإمام مالك** وسائر المحدثين ظلت تفويضية محضة لا تشوبها شائبة.

فهل فُتحَ ل **صبيان النظرية المخزنيين** في هذا المجال، والنصوص المحتكم إليها هي هي، ما لم يُفتح للإمام، أم أنهم أعادوا اكتشاف النار والعجلة؟

ويبقى مع ذلك عدة أسئلة عالقة، منها على الخصوص،:

ـ من تكون الجهة المصدِّرة للمغرب **للعقيدة الأشعرية**؟

- هل تم تبنيها من طرف **صبيان النظرية المخزنية**، لكون القاضيان المالكيان: **أبي بكر الباقلاني** (ت: 403 هـ) و**أبي بكر ابن عربي المعافري** (ت: 453هـ/1148م)، كانا قد سبق لهما تبنيها من قبل ؟،
- أم أنها انحدرت إليهم من **الأزهر**، يوم أن كانت **الغلبة العقدية للمتكلمين الأشاعرة** بالأزهر، زمن **الأيوبيين**، بعد أن كان الانحطاط قد ألقى بجرانه على الشرق والمغرب سواء، لتنتقل هذه العقيدة من **رحاب الأزهر** إلى

رحاب القرويين ، ما انتقل مختصر الشيخ خليل بن

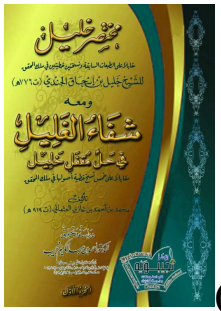

إسحاق الجندي (ت: 776 هـ/1374 م) من قبل، ولينشأ عليها بعض طلبة القرويين تقليداً لمن تأثروا بها من أساتذتهم، بينما لم ينقطع أهل الحديث بالمشرق قط، من الطعن فيها وتوجيه سهام النقد إليها، منذ ظهورها، محذرين الأتباع من شطحات أصحابها، وخصوصاً المتأخرين منهم.

3) محور وحدة السلوك

أما أن يقال بأن المغاربة تميزوا أيضا ب وحدة السلوك، وهو مصطلح بدعي متأخر، فكلام ملقى على عواهنه من طرف جهلة بالتاريخ والواقع معاً، لأننا كتبنا في الحلقة السادسة من سلسلة: "مشاريع الإصلاح الديني {ويقصد بها الإفساد الديني} ما يلي:

وقد ظهر المتصوفة لأول مرة في التاريخ الإسلامي بالعراق، مدماك كل مواريث وعقائد ونحل المنطقة.

وقد استغرب أهل الحجاز، موطن مهبط الوحي، وهم البعيدون عن مرتقات الأمم والشعوب، طريقتهم تلك واستهجنوها وحذروا منها.

وقد روى علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في كتابه: "قرب الإسناد" عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحسن العسكري (**232 هـ/846 م – 260 هـ/873 م**)، الإمام الحادي عشر للشيعة الجعفرية، أنه قال :

سئل أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر (ع) عن حال أبي هاشم الكوفي الصوفي فقال: إنه فاسد العقيدة جداً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له: **"التصوف"**، وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة!

وأما موقف الإمام مالك من هذه البدعة الدخيلة على المرجعية، فقد خلده لنا تلميذه الثبت فيه، وراوية أحد الموطآت عنه وهو: أبو محمد، عبد الله بن يوسف التنسي الكلاعي (ت: **218 هـ/834 م**) فقال :

كنا عند مالك، وأصحابه حوله، فقال رجل من نصيبين: عندنا قوم يقال لهم "الصوفية" يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون!،

فقال مالك: أصبيان هم؟!،

قال: لا!.

قال: أمجانين هم!؟.

قال: لا!. هم مشايخ!!، وغير ذلك عقلاء!!،

فقال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا!،

فقال له رجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون دوائب – أي من شدة وقوة – ويلطـــم بعضهم رأسه!، وبعضهم وجهه!، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله.

وانظر صدق هذا الوصف على أصحاب الطريقة البوتشيشية، وهم في رقصتهم الهيسترية والهوجاء، ووجدهم المتشنج الفصامي ، وهم يحسبون لغفلتهم، أن هذه البدعة من الدين! على هذا الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=_BCFBtFrXnQ&feature=related

وهـو مـا ينبئـك بنـوع تـدين **وزيـر الأوقـاف المغربـي**، أحمـد التوفيـق

المنتمي لهذه الطريقة، والذي لم يفتح الله عليه، بحكم التنشئة والموروث، أن ينتفع من تخصصه وهو التاريخ، ليدرك أن ما انتحله، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، ويتقرب إلى الله به، **بدعة هرطوقية طارئة على الإسلام**، لم يعرفها الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان ولم يتسامع بها الحجاز، مهبط الوحي، سوى منتصف القرن الثاني الهجري، بل وتأخر دخولها إلى المغرب بدهر، فلم تظهر سوى في القرن السابع الهجري، مع **دولة الموحدين**، لما اشتهر من كون علماء المرابطين، حرقوا كتب **أبي حامد الغزالي** في الساحات العامة عدة مرات.

وقد كتبنا في الحلقة السادسة من "**الإصلاح الديني**":

وسيحذو الأمراء المرابطون حذو فقهائهم، ليصدروا أوامر ومراسيم تمنع تداول كتب الغزالي في المغرب والأندلس، بل غلوا في ذلك، من فرط تمسكهم بسيرة السلف عامة والمالكية خاصة، في محاربة البدعة والمبتدعة، فأمروا بتحريق كتب الغزالي في الساحات العامة عدة مرات.

قال ابن القطان :

في أول عام ثلاثة وخمسمائة (503 هـ/1109 م) عزم علي بن يوسف (بن تاشفين) – عن إجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائها – على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى والمسمى ب "الإحياء". فأحرق في رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته مجلوده بعد إشباعه زيتاً وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس. ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمراً بإحراقه حيثما وجد....

ونعجب أكثر حين نقرأ على موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية التي يشرف عليها الوزير الحكواتي القاص السيد أحمد التوفيق **الذي كانت جندته المخابرات الأمريكية، لتمرير سياستها في محاربة الإرهاب ب التصوف، بينما كانت هي من شجعت، في ظرف سياسي آخر، الإرهاب وتبنته من قبل، لبلوغ أهدافها في أفغانستان أيام هجمة الروس على هذا البلد، ثم تبين لها بعد أن سقط الاتحاد السوفياتي، وخرج عفريت الإرهاب، بحسب عرفها من قمقمه وصار يتهددها،أن تجند التصوف، وليكون الشباب المغربي، وفي الحالتين، وبتأطير من المصالح الأمنية المغربية الفاقدة الذاكرة والغيرة الوطنية، والمفروض فيها الوعي بهذه الأجندة الأجنبية، لتعمل على حماية الشباب المغربي من أن يتحول إلى فئران وقردة مختبر في هذه السياسة التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل.**

فما بالك أن يتم تفعيل هذه السياسة على رؤوس الأشهاد، بإشراف من سفراء الولايات المتحدة الأمريكية وتشجيعهم، على ما عرف من سيرة السفيرة مارغريت

توتـوايلر (Margaret DeBardeleben Tutwiler) خـلال الفتـرة 2001 -

2003، وخلفها "طومـاس رايلي (homas Thomas Riley) ، خلال الفترة 2004 - 2009 .

وسيلعب الأخير دوراً محورياً في تفعيل توصيات تقرير مؤسسة راند (The RAND Corporation) المعنون: "الإسلام الديمقراطي! المدني، شركاء، الموارد والإستراتيجيات" (Civil Democratic Islam, Partners, Resources, and Strategies) 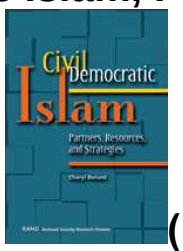

، بخصوص تجنيد الطرق الصوفية لخدمة السياسة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي، حيث جاءت توصية في صفحة 63 من التقرير تقول بوجوب:

بناء هيكلة التصوف, تشجيع الدول التي لها تراث صوفي قوي على التركيز على تلك الحقبة من تاريخها، وإدخالها في المقرر المدرسي والعناية أكثر بالإسلام الصوفي!!!!!!.

Build up the stature of Sufism. Encourage countries with strong Sufi traditions to focus on that part of their history and to include it in their school curricula. Pay more attention to Sufi Islam.

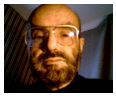 **قلت:**

وقد صدقت المخابرات الأمريكية ظنها على **الحكواتي أحمد التوفيق**، ما صدق إبليس ظنه في كل غاوي، **فوزّرته** وجندته لتفعيل هذه التوصية بحذافيرها في المغرب.

ومن فرط الكلف بهذه المهمة الإبليسية، فقد كان السفير **رايلي** يحضر بنفسة،

وكأنه أحد مريدي **الشيخ حمزة البوتشيشي** ، حفلات **الرقص** و**السماع** التي تنظمها **الطريقة البوتشيشية**.

وهو الرقص الذي كان استهجنه الإمام: **مالك بن أنس** (ت: 178 هـ) رحمه الله واستهجن أن ينتسب من يقوم به إلى الإسلام، بينما نعت معاصره الإمام **جعفر الصادق** (ت: 148 هـ) رحمه الله "التصوف" ب"**العقيدة الخبيثة**"

وهي فعلاً عقيدة لم تزدد مع مرور القرون سوى نتانة وخبثاً، مادام كل الاستعماريين الذين تقاطروا على العالم الإسلامي، بغية احتلاله، جندوها لخدمة أهدافهم ضداً في الإسلام وأهله.

{أنظر لمزيد على موقعنا الحلقة السادسة من: " **مشاريع الإصلاح الديني** " .

انتهى وتليه الحلقة 25